﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠﴾ [الطلاق: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد أن بيَّنت الآيتانِ السّابقتان عقابَ القرى التي عتَت عن أمر ربِّها ورسله، وما أنزله اللّهُ تَعالى بها مِن عذابٍ بِسَبَبِ ذلك؛ ناسب أن توَضِّح هذه الآيةُ ما أعدَّه لهم من عذابٍ في الآخرة، وأن تَدْعوَ المؤمنين إلى تَقْوى اللّهِ تعالى، والاتِّعاظ بما أنزَلَهُ إليهم مِن ذِكْرى وتحذيرٍ في القرآن الكريم[1].

بيانُ ما أعدَّه اللهُ تَعالى للعاتين عن أمرِهِ في الآخرة بعدَ ذِكْرِ ما نزل بهم في الدُّنيا

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: (لبب) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى خُلوصٍ وجَوْدَةٍ، ومِنْهُ اللُّبُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وهوَ خالِصُهُ، وما يُنْتَقى مِنْهُ، ولِذلِكَ سُمّيَ العَقْلُ لُبًّا[2]، فاللُّبُّ هو: العقل الخالص من الشّوائب، وسمّي بذلك لكونه خالصَ ما في الإنسان مِن معانيه، وقيل: هو ما زَكى مِن العَقْلِ، فكلُّ لبٍّ عقلٌ، وليس كلُّ عقلٍ لُبًّا، ولهذا علَّقَ اللّه تَعالى الأحكام التي لا تُدْرِكها إلّا العقولُ الزَّكيَّة بأولي الألْبابِ[3]، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ [البقرة: 269]، وليس في القرآنِ الكريمِ مِن التَّركيب إلّا كلمة ﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ بهذا المعنى[4].

2) ﴿ذِكۡرٗا﴾: (ذكر) أصْلانِ، أحَدُهُما: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلافُ نَسيتُهُ، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسانِ، يُقالُ: اجعَلْهُ مِنْكَ عَلى ذُكْرٍ - بِضَمِّ الذّالِ - أي: لا تَنْسَهُ، والذِّكْرُ: العَلاءُ والشَّرَفُ[5]، والذّكر

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 459.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لب).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (لبب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (لبب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).

ذِكرانِ: ذكرٌ عَن نسيانٍ، وذكرٌ عَن إدامَةِ الحِفْظِ، ومِن الثّاني قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: 43]، أي: الكتب المُتَقَدِّمة، وقولُه: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾[1]، معناه: القرآن الكريمُ أو الرَّسولُ الأمينُ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

على المُؤْمِنين أنْ يتَّعظوا بما يذكِّرُهم به القرآنُ الكريمُ

تُبَيِّن الآيةُ الكريمةُ أنَّ ما أصاب أهلَ القُرى التي عتَت عَن أمْرِ ربِّها ورسله مِن عذاب في الدُّنيا ليس نهايةَ المَطاف؛ لأنَّ الله تعالى هيَّأ لهم عذابًا أشدَّ منه وأبقى في الآخرة، ومِن ثَمَّ فعَلى أولي الألباب الذين آمنوا بالله تَعالى حقَّ الإيمان أن يَتَّقوه، فَيَلْتَزِموا أوامرَه، ولا يتجاوزوا حدودَه، فهو الذي أنزل عليهم القرآنَ؛ ليذكِّرهم بما فيه عمّا غَفَلوا عنه مِن سلامة العقيدة، وكريم الأخلاق، وجميل الآداب، والالتزام بأوامر الله سُبحانَهُ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّة فصلِ الآيةِ عَن سابِقَتِها:

عذابُ العاتين في الدُّنيا يَتْبَعُه عذابٌ خاصٌّ في الآخرة

جاءت جملة: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ مفصولة عمّا قبلها؛ لكمال الاتِّصال الذي تُنَزَّل فيه الجملةُ المفصولة ممّا قبلها منزلة التّابع من المتبوع، فتُفصَل عنها كما يُفصلان، ذلك أنَّ جملة: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ﴾ بمنزلة البيانِ لقوله: ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾، أو بمنزلةِ البدل منهُ، أو التَّأكيد له، ويجوزُ أن يكون الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصال، الذي تُجيب فيه الجملةُ الثّانيةُ عن سُؤالٍ أثارَتْهُ الجُملةُ الأولى، تقديرُه: هل لهذه القرى عذابٌ غيرُ ما نزل بِها؟ فتأتي الجملةُ الثّانيةُ لتُبيِّن أنَّ لهم في الآخرةِ عذابًا خاصًّا، بجانب العذاب الذي نَزَلَ بهِم في الدُّنيا[4].

(1) الراغب، مفردات القرآن: (ذكر).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 337.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 460.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 560، والبقاعي، نظم الدرر: 20/ 167، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 365، 366.

دلالة التَّعبير بفعل الإعداد ماضيًا، مُسندًا إلى الاسم الأحسَن ﴿ٱللَّهُ﴾:

في التَّعبير بفعل الإعداد إشارة إلى أنَّه عذاب مُهيَّأٌ مُحْكَمٌ، وفيه تهويلٌ لهذا العذاب؛ إذ أُعِدَّ على وجهٍ خاصٍّ يليقُ بجُرْمِهم وعُتوِّهم، وعُبِّر به ماضيًا؛ لإفادةِ التَّحقُّقِ والوقوعِ، فالعذاب مُعَدٌّ لَهُم سَلَفًا، ليس بينَهُم وبين حلولِهِ عليهم إلّا أن يموتوا، وإسناده إلى الاسْمِ الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ - الذي لا يُعَبَّر به إلّا في مواضع التَّأليه والتَّعظيم - فيه نوعٌ مِن تهويلِ العذاب وتضخيمه؛ لِما فيه مِن دلالة على أنَّ القائم على إعداده وتجهيزه للعاتين عن أمرِهِ في الطَّلاق وغيره هو الملكُ الأعظمُ ذو العزَّة والجبروتِ.

العذابُ الذي أعدَّه اللهُ تعالى للعاتين سيكونُ في الآخرة

دلالةُ القَيْدِ ﴿لَهُمْ﴾ مُقَدَّمًا:

اللّام في ﴿لَهُمْ﴾ حرف جرٍّ يدلُّ على أنّ العذاب الشّديد الذي أعدّه الله تعالى، وهيَّأه في الآخرة مخصوصٌ بالعاتين مِنْ أهلها عَن أمرِ الله تَعالى ورسله، ولا يُعَذَّب به أحدٌ غيرهم.

والقيد ﴿لَهُمْ﴾ متعلِّق بفِعْلِ الإعْدادِ، جيءَ به مُقَدَّمًا على المفعول به ﴿عَذَابًا﴾؛ لتَقْوِيَةِ اختِصاصِ العذاب بأهل القُرى التي عتَت عَن أمر ربِّها ورُسُله، ولتأكيدِ كونهِ مُعَدًّا لهم، مُجَهَّزًا من أجْلِهِم، لا مِن أجل أقوامٍ أو أُناسٍ آخرين.

العذابُ الأخرويُّ للعاتين عن أوامِرِ الله تَعالى مُجَهَّزٌ لهم، ولا يُعذَّبُ به غيرُهم

وَجْهُ تنكيرِ ﴿عَذَابًا﴾، ولطيفةُ وصْفِهِ بالشِّدَّة:

أوثِر تنكيرُ المفعول به ﴿عَذَابًا﴾؛ لِما يفيده التَّنكير من التَّهويل والتَّضخيم، وللإشارة إلى أنّ العبارة لا يُمْكِنُها أن تَصِفَ العذاب الذي أعدّه الله تعالى للعاتين عن أمْرِهِ في الآخرة، فهو عذابٌ لا يُقادَرُ قدرُه، ولا تُحيط العبارةُ بحقيقتِه ولا بوَصْفِه، وأوثر صَوْغُ وصفِهِ بالشِّدّة على وزنٍ مِن أوزان المبالغةِ، فقيل: ﴿شَدِيدًا﴾؛ لدلالتِه بمَعْناهُ ومبناه الذي يتوسّطه حرف المدّ على بلوغهِ في الشِّدّة والفظاعةِ مَدًى لا يُمْكِن تصوُّره، ولا يستطيع أحدٌ أن يحيط به، وفيه ترهيبٌ

عذابُ العاتين في الآخرة لا يُقادَرُ قدرُه، ولا تحيطُ العبارةُ بوصفِه

من العُتوِّ عن أمر الله تَعالى ورسله، وتمهيدٌ وترغيبٌ في تقوى الله سُبحانَهُ، الحائلة بين النّاس والعذاب المُتَحَدَّث عنه.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾:

تقوى الله تَعالى والخوفُ منه نتيجةٌ حتميَّةٌ للموعِظَةِ المَزوجَةِ بالتَّهديد

الفاء في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ حرفُ عَطْفٍ يُفيد تسبُّب ما بعدها عمّا قبلها من موعظة، فبَعْدَ أن تمَّت الأحكامُ ودلائلُها، وأُحكِمت الآياتُ وفواصلُها، والتَّهديداتُ وغوائلُها، كانت فَذْلَكتُها وثمرةُ سياقِها وموعظتِها ما تسبَّب عن ذلك من قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ تنبيهًا على ما يُحْيي الحياةَ الطَّيِّبة، ويُنْجي في الدّارين[1]، وكأنَّ تقوى الله سُبحانَهُ والخوفَ منه نتيجةٌ حتميَّةٌ لما سبق ذكرُه من الموعظة والتَّهديد.

غرَضُ الأمْرِ بالتَّقوى:

تقوى الله تَعالى هي الحارِسُ اليَقِظُ الذي يُساعِدُ على امتثالِ الأوامر واجتناب النَّواهي

قولُه تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أسلوبُ أمْرٍ، غرضُهُ توجيهُ المُخاطَبين وإرشادُهُم إلى ما يُنجيهم من العذاب الشَّديد الذي أعدَّه الله تعالى للعاتين عَن أوامره في الآخرة، ومن العذاب النُّكر الذي نَزَلَ بِهِم في الدُّنيا، وأوثر الأمْرُ بالتَّقوى دون غيرها؛ لأنَّها بمنزلةِ الحارسِ اليَقِظِ الذي يُساعِدُ على امتثال أوامر اللهِ تَعالى واجتنابِ نَواهيهِ.

سرُّ تقديمِ الأمْرِ بالتَّقوى على النِّداء:

الموعظةُ تُساعِدُ دائمًا في قبول النُّفوس للتَّكليف فِعْلًا أو تركًا

المُعتاد في البيانِ القرآنيِّ أن يَتَقَدَّم النِّداء على الأمر والنَّهي، لكنَّ النَّظم الكريمَ جرى في هذه الآية على غير المُعْتادِ، فقَدَّم الأمر بالتَّقوى على النِّداء، وسِرُّ ذلك أنَّ النُّفوس متهيِّئةٌ لها، والعقولَ متفهِّمةٌ للهدَفِ من الأمر بها، عَقِبَ المَوْعِظَة الواردة بعد بيان حدودِ الطَّلاق وأحكامه، ومِن ثمَّ فلا ثِقَلَ في التَّكليف بها، والمعنى: أعدَّ اللهُ تَعالى لَهُم هذا العذاب، فلْيَكُن لَكُم ذلكَ يا أولي الألباب داعيًا لتَقْوى اللهِ تَعالى وحذَرِ عِقابِهِ[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 167.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 560.

لطيفَةُ إظْهارِ الاسْمِ الأحسَن ﴿ٱللَّهَ﴾ في موضِعِ الإضْمارِ:

تقوى اللهِ تَعالى والخوفُ منهُ هوَ الحائلُ بين النّاس وبين شديدِ عقابه وعظيمِ حسابه

كان مُقْتَضى الظّاهر أن يُقال بعدَ جُمْلَة: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: (فاتّقوه...)، لكنَّ النَّظم الكريم عدلَ عَن التَّعبير بالضَّمير إلى إظهارِ الاسْمِ الجليل، وتعدية الأمر بالتَّقوى إليه مباشرةً، قائلًا: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ تربيةً للمَهابَة، وغَرْسًا لتَعْظيمِهِ في القُلوب، وتعميقًا للخَوْفِ منهُ في النُّفوس؛ إذِ المَعْروفُ أنَّ كلَّ شيءٍ بيَدِه، ولا يخرجُ أمرٌ عن إرادته، وأنَّ تَقْواهُ والخوفَ منه هو الحائلُ بين النّاس وبين شديدِ عِقابِه، وعظيم حسابه، والمعنى: اتَّقوا اللّه الذي له الأمرُ كلُّه بامتِثالِ أوامِرِه واجتِنابِ نَواهيه[1].

نُكْتَةُ النِّداءِ بـ(يا):

حدودُ اللهِ تعالى ممّا يجبُ أن تَنشَطَ لفَهْمِهِ العقولُ، وتُشْحَذَ لتَنْفيذِهِ الهِمَمُ والعزائمُ

(يا) في قوله: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ حرفُ نداءٍ، يُفيد إيقاظَ المُخاطَب وتنبيهَهُ على أهمّيَّة ما يُنادى من أجله، وبيان أنَّه ممّا يجبُ تلقّيه بمزيدٍ مِنَ الحِرْصِ والإصغاء؛ نظرًا لأهمّيَّته البالغة بالنِّسبة للفَرْدِ والأُسْرَة والمجتمع والأمَّة، ما يعني: أنَّ حدود اللّه تعالى التي وضعَها في أمْرِ الطَّلاق وفي غيره من جوانبِ الحياة، ممّا يجبُ أن تَتَنَبَّهَ له العقولُ، وتنشطَ لأجل تأمُّله وتدبُّرِه الأفكارُ، وتُشحَذ للعمَلِ به الهممُ والعزائمُ.

الغرض من النِّداء بوصف: (أولي الألْبابِ):

في تدبُّر أحكام الطَّلاق مصلحَةٌ تعودُ على الأمَّة كلِّها، متى التَزَمَتْ بها

(أولي الألْبابِ) منادى منصوبٌ بالياء؛ لأنَّه مضافٌ، و(أولي) بمعنى: أصحاب، و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ جمع: لُبٍّ، وهو: ما زكى مِنَ العَقْل، وفي نداءِ المُؤْمنين به إيماءٌ إلى أنَّ العقول الرّاجحة تَدْعو إلى تقوى اللّه تَعالى؛ لأنَّها كمالٌ نفسانيٌّ، ولأنَّ فوائدَها حقيقيَّةٌ دائمةٌ، ولأنَّ بها اجتنابَ المضارِّ في الدُّنيا والآخرة[2]، وفيه أيضًا دعوةُ المُؤْمنين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 167.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 336.

إلى تدبُّر أحكامِ الطَّلاق الواردة في السّورة؛ لفِقْهِ ما فيها مِن مَصْلَحَةٍ تعودُ على الأمَّة كلِّها، متى التَزَمتْ بِها[1].

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وجَمْعِه:

(أل) في ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لتعريف العَهْدِ، وفي التَّعبير به دلالةٌ على أنّ المعهودَ عَن أهلِ الإيمان هو حسنُ الفهم، وحِدَّةُ العقل، والإقبالُ أو الإعراضُ عن الأفعال بعدَ إعمال العقلِ وتحكيم اللُّبِّ، وليس عن تقليدٍ وانسياقٍ، وأوثر التَّعبير به جَمْعًا هنا وفي جميع مواضعِه؛ لأنَّ المدح به لا يكونُ إلّا في المواضع التي يُخاطَب فيها المؤمنون بصيغة الجمع - كما هنا - أو يُعَبَّر عنهم بأسلوبِ الجَمْعِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: 269]، ولِما في جَمْعِه مِن دلالة على أنَّ السِّمةَ الغالبةَ على المَعنَيَيْن بِها أو على أكْثَرِهِم هي كمالُ العقل، وحسنُ الفهم، وصوابُ الفعلِ.

المعهودُ عن أهلِ الإيمانِ هو حُسْنُ الفَهْمِ، وحِدَّةُ العقل، والبعدُ عن التَّقليد

موقِعُ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ودلالَتُه:

قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمٌ موصول في محلِّ نصبٍ بإضْمارِ (أعْني)، وهوَ بيانٌ للمُنادى، أو نعتٌ له، أو بدلٌ منه، وفعلُ الإيمان الماضي ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ جملة لا محلَّ لها من الإعراب صلةُ الموصول، وهذا الإتباعُ يومِئُ إلى أنّ قبولَهم الإيمانَ عنوانٌ على رجاحة عُقولِهم، وأيضًا فإنَّ التَّعبيرَ عن الصِّلة بفِعْلِ الإيمانِ فيهِ إشْعارٌ بأنَّ الإيمانَ سببٌ للتَّقوى وجامع لمُعْظَمِها، وأنَّ للتَّقوى درجاتٍ هي التي أُمِروا بأنْ يُحيطوا بِها هُنا[2].

قَبولُ أولي الألباب الإيمانَ عنوانٌ على رجاحَةِ عُقولِهم

بلاغَةُ التّعبير بالاسْمِ المَوصول وصِلَتِه:

تعبيرُ النَّظم الكريم بـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فيه نوعٌ من تفخيم (أولي الألْبابِ)، وتشويقٌ إلى الصِّفة التي تميَّزوا بها من غيرهم، والتي

شهادةُ اللهِ تعالى لأولي الألباب بالإيمانِ تشريف وثناء

(1) المليجي، من بلاغة القرآن الكريم في الحديث عن تكريم الرسول ﷺ وتوقيره، ص: 162.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 336.

تعدُّ برهانًا على رجاحة عُقولِهم وحسن اختياراتِهم، ومجيءُ صِلَتِه فِعْلًا ماضيًا: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ دالٌّ على أنَّهم تَعَمَّقوا في صِفَةِ الإيمان، وتعمَّقتْ فيهم هذه الصِّفة، لدرجةِ أنَّ اللّٰه تعالى اختارها مِن بين أوصافِهم، وشَهِدَ لهُم بِها، وفي حذفِ مَعْمولِ الفِعْلِ دليلٌ على أنَّهم آمنوا بكلِّ ما يَجِبُ عليهِم الإيمانُ بِهِ.

عِلَّةُ فَصْلِ جُمْلَةِ: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ عمّا قبلها:

جاءت جملة: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ مفصولة عمّا قبلها لشِبْهِ كمالِ الاتِّصال، الذي تُنَزَّل فيه الجملة الثّانية ممّا قبلَها منزلةَ السَّبب من المُسَبَّب، ومِن ثمَّ تُفْصَلُ عنها كما يُفصَلان، وبيانُ ذلك أنَّ النَّظمَ الكريمَ علَّل الأمرَ بالتَّقوى الواردَ في قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ بجملة: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾؛ لأنَّ إنزال الكتابِ نفعٌ عظيمٌ وفائدة جليلة تُسْهِمُ في تحلّي المؤمنين بالتَّقوى، وتوجِبُ عليهِم شُكْرَها[1]، ويجوزُ أن يُقال: لأنَّ بَعْثَ الرَّسول فيهم وإرسالَهُ إليهِم نعمَةٌ كُبْرى وفَضْلٌ عظيمٌ؛ إذْ يَرَوْنَ فيهِ النَّموذج الأمثلَ للتَّقوى، ويتَعَلَّمون منه سُلوكَ المُتَّقين[2].

القرآنُ الكريمُ والرَّسولُ ﷺ نِعْمتانِ تَستوجبان الشُّكر

فائدَةُ التَّوْكيدِ بـ ﴿قَدْ﴾:

توكيدُ نعمة إنزالِ الذِّكر إلى المؤمنين وبَعْثِ الرَّسول فيهم بـ﴿قَدْ﴾ في قوله: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ للاهتمام بالخبَرِ، وإثارةِ النُّفوس إلى تصفُّح القرآنِ وتدبُّره، والتَّأسّي بالرَّسول ﷺ والأخذ بشريعتِهِ في كلِّ الأحوال، بِما فيها حالُ الفِراق والطَّلاق[3].

من الواجبِ على أولي الألباب تدبُّر القرآن والعَمَلُ به وبأوامِرِ النَّبيِّ ﷺ

نكتةُ إظهارِ الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

كان يجوز أن يُقال: (فاتقوا اللّٰه... قد أنزل إليكم ذكرًا)، لكنَّ النَّظم عدلَ عن إضمار الاسم الأحسَن ﴿ٱللَّهُ﴾ إلى إظهاره، فقال:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 336.
(2) المليجي، من بلاغة القرآن الكريم في الحديث عن تكريم الرسول ﷺ وتوقيره، ص: 162.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 337.

مَـــنْ خـالَـف القرآنَ والرَّسول ﷺ؛ عـــرَّض نفسَه لعقاب العاتينَ عَن أمْرِ اللهِ تَعالى

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ تعظيمًا لنعمةِ إنزالِه القرآنَ إلى المؤمنين، وتقديرًا لإرسالِه فيهم خاتمِ المُرْسَلين، وللإلماحِ إلى أنَّ ما يُرْشِدانِ إليه مِن تَعاليمَ، وما يَضَعانِه مِن حُدودٍ في أمْرِ الطَّلاق أو في غيره إنَّما هو بتوجيهٍ من اللّه سُبحانَهُ، وأنَّه فضلُ إنعامٍ منه سبحانه؛ لِما فيه مِنْ مصلحَةٍ أكيدَةٍ، ومِن ثمَّ وجَبَ الأخذ به وعدم العُتوِّ عنه؛ لأنَّ مَنْ يفعلُ ذلك؛ فقَد عرَّض نفسَه لعقابِ العاتينَ.

دلالةُ تعدية فعل الإنزال إلى الضَّمير بحرف الانتهاء:

(إلَى) في قوله: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ﴾ حرفُ جرٍّ يُفيد الانتهاءَ الدّالَّ على أنَّ الغاية التي مِن أجلها أنزل اللّهُ القرآنَ الكريم، وأرسلَ خاتمَ الأنبياءِ والمُرْسَلين هي تذكيرُ المُؤْمِنين أوَّلًا، وتذكير غيرِهم ثانيًا بالحُدود الواجب اتِّباعها، والأوامر المُحَذَّر من العتوِّ عنها، وأوثرَ التَّعبير عن المؤمنين بضَميرِ الخِطاب المَجْرور بحَرْفِ الانتِهاء والمُشْعِر باخْتِصاصِهم بالإنزالِ دونَ غَيْرِهم؛ لأنَّ الالتزامَ بما يأمُرُ به القرآنُ الكريمُ وما يدعو إليه الرَّسول ﷺ هو المأمول فيهم والمُتوقَّع منهم.

الالـــتـــزام بما يأمُرُ به القرآنُ والـرَّســول ﷺ هـو المـأمـولُ في المؤْمِنين والمُتوقَّعُ منهم

نكتةُ تقديمِ شِبْهِ الجُمْلَةِ:

قوله: ﴿إِلَيْكُمْ﴾ جارٌّ ومجرور متعلِّقان بفِعْلِ الإنزالِ، جيءَ بِهِما مُقَدَّمَيْنِ على المَفْعولِ ﴿ذِكْرًا﴾؛ لإشعار المؤمنين بالاهْتِمام بأمْرِهم، وتعزيز حِرْصِ اللّه تعالى على التِزامِهم بحدودِهِ بعامَّة، والحدود التي شرَعَها في حال الطَّلاق بخاصّة، مِن خلال تذكيرِهم بها في القرآن الكريم، وتحذيرهم مِن انتهاكِها على لسانِ الرَّسول الأمين ﷺ.

الإيـــمـــاءُ إلى الاهتِمامِ بِشَأْنِ أهلِ الإيمانِ

معنى ﴿ذِكْرًا﴾، ووجْهُ تنكيرِهِ:

قوله: ﴿ذِكْرًا﴾ معناه: القرآنُ الكريمُ، وقد سُمّي به في آياتٍ كثيرةٍ؛ لأنَّه يتضمّن تذكيرَ النّاس بِما هُم في غَفْلَةٍ عنهُ مِن دلائلِ

التَّوحيد، وما يتفرّع عنها من حُسْنِ السُّلوك، ثُمّ تَذْكيرهم بما تضمَّنه مِن التَّكاليف[1]، ويجوزُ أن يُراد به: الرَّسولُ ﷺ، عُبِّر به عنهُ لمواظبَتِهِ على تلاوة القرآنِ الذي هو ذِكْرٌ، أو لتبليغِهِ والتَّذكير به[2]، وأوثِرَ تنكيرُه - أيًّا كان المقصودُ بهِ - للتَّفخيم والتَّعظيم، والدّلالة على أنَّه كامل مذكورٌ، فيه غايةُ الشَّرف لكلِّ مَن يَقْبَلُه، بل تشرَّفت الأرضُ كلُّها بِنُزولِه، ورفع عنها العذاب، وعمَّها النّور والصّواب؛ لأنَّ فيه تبيانَ كلِّ شيء، فمَن استَضاء بنورِهِ؛ اهْتَدى، ومَن لجأ إلى بَرْد أفنائِهِ؛ وصَلَ مِن داء الجهل إلى شِفائِهِ[3].

القرآنُ والرَّسول ﷺ كلاهُما يذكِّرُ النّاس بِما هُم في غَفْلَةٍ عَنْهُ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الألباب والعَقول والنُّهى:

اللُّبُّ: ما زَكَى من العَقْلِ، وهو خالصُ صِفات المَوْصوف بِهِ، والعَقْلُ: ما يحصر مَعْلومات المَوْصوف بِهِ، أمّا النُّهى؛ فهوَ النِّهايَة في المعارف الَّتي لا يحْتاج إلَيها في مُفارقَة الأطفال ومن يجْري مجراهم، وهي جمعٌ، واحِدها: النُّهية، ويجوز أن يُقال: إنَّها تفيد أن المَوْصوف بها يصلُحُ أن يُنْتَهى إلى رأيه[4]، ولَمّا كان التَّعبير واردًا في سياق الأمْرِ بالتَّقوى التي تحول بين الإنسان وبين مُخالفة حدودِ الله تعالى والتَّعدّي على أوامِرِه؛ ناسب نداء المؤمنين بـ (أولي الألْبابِ)؛ للدّلالة على أنَّ الالتزامَ بالحُدودِ وعدَمِ العتوِّ عنها - وبخاصَّة في حال الطَّلاق والفِراق - يحتاج إلى عقولٍ زاكيةٍ قادرةٍ على كبح جماحِ النُّفوس، وتطويعها لإرضاء الله تعالى بفِعْلِ أوامِرِه، والتزام حدودِه، وعدَمِ الاعتداء على الآخرين أو النَّيْل منهم عنادًا أو انتقامًا.

الالتزامُ بالحُدودِ وعدم العُتوِّ عنها يحتاج إلى عقول زاكية قادرة على كَبْحِ جِماح النُّفوس

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 337.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 336.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 168.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 84.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"